المزامير

الإسم العبري لسفر المزامير هو « التسبيح » أو « التهليل » ، وهذا يتناسب مع فهم العهد الجديد (لوقا ٢٠ : ٤٢ ، أع ١ : ٢٠) . وورد في المخطوطات القديمة ما يمكن ترجمته بالترنيم . والترجمة اللاتينية تتبع السبعينية، وهكذا بالنسبة للترجمات الإنجليزية والعربية . وسفر المزامير يتضمن في الأصل مئة وخمسين مزموراً مقسم إلى خمسة أقسام وكل قسم يختتم بأنشودة تمجيد :

١- (من مز ١ إلى مز ٤١) . وأنشودة التمجيد (٤١ : ١٣) .

٢- (من مز ٤٢ إلى مز ٧٢) . وأنشودة التمجيد (٧٢ : ١٨ - ١٩).

٣- (من مز ٧٣ إلى مز ٨٩) . وأنشودة التمجيد (٨٩ : ٥٢) .

٤- (من مز ٩٠ إلى مز ١٠٦) . وأنشودة التمجيد (١٠٦ : ٤٨) .

٥- (من مز ١٠٧ إلى مز ١٥٠) . ويختتم هذا القسم بمزمور (١٥٠) كأنشودة تمجيد.

وكل مزامير القسم الأول تحمل العنوان (لداود) ما عدا (مز ١ ، مز ٢ ، مز ٣٣) . وإن كان (مز٢) يحمل في الأصل (لداود) بمعنى أن (مزامير ٢ - ٣٢ ، ٣٤ - ٤١) مزامير لداود عبد الرب (يهوه) . ومزامير (٤٢ - ٨٣) إستخدم فيها الإسم ألوهيم بدلاً من الإسم يهوه . و(مز ٥٣ ، مز ٧٠) يعد مشابهاً لمزمور (١٤ ، ٤٢ : ١٣ - ١٧) مع إختلاف طفيف . أما مزامير (٤٢ - ٤٩) فهي لأبناء قورح ، و(مز ٥٠ ، مز ٧٣ - ٨٣) لآساف . ومن (٥١ - ٧٢) لداود . ومن (٨٤ - ٨٩) مزامير المجموعة الموسيقية التي إستخدم فيها المرنم إسم يهوه ، وأما مزامير (٩٠ - ١٥٠) فهي تضم مجموعة مزامير ، يهوه « الرب الملك » ، ومزامير المرنم السائح (١٢٠ - ١٣٤)، ثم مزامير هللويا (١٠٤ - ١٠٦ ، ١١١ - ١١٣ ، ١١٥ - ١١٧، ١٣٥ ، ١٤٦ - ١٥٠) ، وترانيم طلب العون « ترانيم المصاعد » (١٢٠- ١٣٤) ، وكانت ترنم وقتما كان الشعب يصعد إلى أورشليم للعبادة في الهيكل. ونجد في مزمور (١٢٢) تعبيراً عن فرح السائح بوصوله إلى نهاية رحلته « فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب . تقف

أرجلنا في أبوابك يا أورشليم » (١٢٢ : ١ - ٢) .

وكما تم في بعض الأسفار النبوية ، حيث إستعان كاتبوها بمصادر عديدة مختلفة في كتاباتهم للأسفار، كانت المزامير خلاصة كتابات من مجموعة قصائد دينية . كما توجد مزامير أخرى داخل الكتب المقدسة لم تدرج في السفر مثل (خروج ١٥ : ١ - ١٨ ، ١صم ٢ : ١ - ١٠ ، إش ٣٨ : ١٠ - ٢٠ ، يونان ٢ ، ٢ - ٩) .

ويرى بعض العلماء أن العنوان (لداود) في بعض المزامير لا يعني بالضرورة أن داود هو كاتبها جميعاً، بل نسبت له لما تمتع به روح كاتبها غير المعروف بطابع وروح التعبد الذي لداود . ومن هذه المزامير (٣ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٢، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠) . وبالإضافة إلى ذلك فأن هذا العنوان لم يدرج بين النصوص الأصلية . والعلماء الذين رفضوا أن يكون داود كاتباً لمثل هذه المزامير أو بعضها ، ربطوا هذه المزامير بأحداث تاريخية وقعت في زمن متأخر أي بعد داود مثل مزمور (٤٦) . وخلاص أورشليم من الأشوريين عام ٧٠١ ق.م. أو مزمور (٧٤) الذي يتحدث عن سقوط أورشليم عام ٥٨٦ ق.م أو بعد ذلك بقليل .

وتبقى الحقيقة الخالدة أن المزامير صورة قصائد شعرية في لغتها العبرية ، كتبت لتكون تسبيحات يترنم بها الإنسان ويرتوي منها في ظمأه ، ويحياها ويتعبد بها أكثر من مجرد كونها تتعلق بأزمنة تاريخية محضة .

فالهدف من المزامير في المقام الأول تكريسي وليس سجلاً تاريخياً . الأمر الذي لا يعد هاماً في المقام الأول . وحتى تُفهم المزامير ينبغي أن نتسائل : ما هو دور المزامير في العبادة لله ؟

ويقدم جونكل Gunkil تصنيفات خمس للمزامير :

أولاً : تسابيح تعلن عظمة مراحم الله وإحساناته (مز ١٤٥ - ١٥٠) .

ثانياً : تسابيح شكر ، فيها يعلن المرنم إختباره وخلاص الرب له من كل ضيقة، وصلاته إلى الله وإستماع الرب له . فيقدم شكره مصحوباً بتقدمات (قارن ١١٦ : ١٢ - ١٤ ، مزامير ٣٠ ، ٩٢ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٧ ، قارن مع إش ٣٨ : ١٠ - ٢٠ ، يونان ٢ : ٢ - ٩) .

ثالثاً : مزامير (مراثي) ومشاركة وقت الحزن الذي يعم كل الجماعة . وذكر مراحم الله القديمة ، وهو

لايزال يهتم بشفاء شعبه مثل (مزامير ٤٤ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣) .

رابعاً : مزامير (مراثي) فردية تصف معاناة العابد وتصف معاناته وتشاركه أوجاعه . وهنا يجب التمييز والتفرقة بين المزامير التي تعبر عن الألم بسبب الخطيئة ، والمزامير التي تعبر عن ألم البار . وفي كل الأحوال يسمع الله صراخ المستغيثين من ظلم الأشرار ويصحب هذا نذوراً (مزامير ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٤٢ ، ٤٣، ٥١ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣) .

خامساً : ويضيف جونكل Gunkil نوعاً خامساً وهو مزامير ملوكية لملوك إسرائيل ويهوذا فترة ما قبل السبي ، تعبيراً عن أهمية العبادة الدينية التي كان يجب أن يوليها إهتماماً ملوك ما قبل السبي. أمثلة هذه المزامير (٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤٥ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١٣٢) .

ويقسم بعض العلماء سفر المزامير إلى :

١- تسبيحات شكر ترنمها جماعة العابدين (٦٥ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٣٦) ، (قارن صم ٢ : ١ - ١٠) .

٢- تسبيحات شكر يرنمها العابد الفرد (١٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٠ : ١ - ١١ ، ٦٦ : ١٣ - ٢٠ ، ٩٢ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٨) ، (قارن إش ٣٨: ٩ - ٢٠ ، يونان ٢ : ٢ - ٩) .

٣- مزامير توبة وطلب للغفران (٦ ، ٣٢ « وهو ترنيمة شكر أيضاً » ، ٣٨ ، ٥١ ، ١٠٢ ، ١٣٠، ١٤٣) .

٤- ترانيم للرب خالق الأكوان (٨ ، ١٩ ، ١٠٤ ، ١٤٨) . والذي إختار إسرائيل لتكون أمينة شاهدة للحق ، وعاملة لمجد إلهها الذي خلقها وإفتداها من العبودية (٦٦ : ١ - ١٢ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٤٩) .

٥- مزامير مراثي يرنمها العابد الفرد (٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣، ١٤ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ : ٧ - ١٤ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ : ١٢ - ١٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١٢٠، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢) .

٦- مزامير مراثي ترنمها جماعة المتعبدين (١٢ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٤، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٧) .

٧- ترانيم تمجيد للخالق رب التاريخ (٣٣ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧) .

٨- مزامير ملوكية (٢ ، ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٧٢ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١٤٤ : ١ - ١١) .

٩- ترانيم الحصن والملجأ (٤٦ ، ٤٨ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٢٢) .

١٠- مزامير التتويج (٢٩ ، ٤٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩، قارن مزمور ٢٤) .

١١- أناشيد الثقة (١١ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٩١ ، ١٢١، ١٢٥ ، ١٣١) .

١٢- مزامير الحكمة (٣٦ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣) ، (قارن أم ٨) .

١٣- مزامير شريعة الرب (١٩ ، ١١٩) « طوبى للسالكين في شريعة الرب » .

سفر المزامير والعبادة الدينية بالهيكل

دعي السفر كتاب ترنيم ، للكنيسة المسيحية . كما إستخدم في العبادة الدينية وخاصة في المجامع اليهودية . فبعض المزامير يستخدمها العابدون في مناسبات خاصة مثل : (مز ٣٠ لتدشين دور العبادة) ، (مز ١٠٠ للشكر) ، (مز ٩٢ ليوم السبت) ، (مز ٢٤ ليوم الأحد «طبقاً للسبعينية») ، (مز ٤٨ ليوم الإثنين) ، (مز ٩٤ ليوم الأربعاء) ، (مز ٩٣ ليوم الجمعة) ، (مز ٨١ ليوم الخميس «طبقاً لترجمة لاتينية مبكرة ») .

وكانت هذه المزامير ترنم وقت إصعاد البخور ، ولأجل هذا السبب سميت Tamid Psalms . وجاء بالتلمود أن (مز ٨٢) يرنم يوم الثلاثاء وله قيمة في العبادة الدينية العامة . وكانت أعداد كثيرة من المزامير ترنم في بداية الخدمة الدينية (مت ٢٦ : ٣٠ ، مع مز ١١٣ - ١١٨) في عيد الفصح والأعياد الأخرى العظمى . ويردد المرنمون « هللويا » كتكرار في مزامير (١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥، ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٠) . كما إستخدمت هذه المزامير في العبادة العامة ، وبصفة خاصة يوم السبت وأيام الأعياد وفي نهاية الأسبوع .

تعاليم وهدف المزامير

يرى كلفن Calvin أن سفر المزامير بمثابة كتاب (أو كتب) تشريح للنفس الإنسانية من كل جوانبها، تنعكس فيه عواطف الإنسان ومشاعره كما في مرآة . فالروح القدس تمثلت في المزامير ، كل التجارب التي تواجه الفرد ، من أحزان ومتاعب ، وضيقات ومخاوف ، وشكوك وآمال ، واهتمامات تدور في الأذهان . ولم تكن المزامير كما يعتقد البعض ، مجرد تسبيحات نطق بها كاتبوها في فترة زمنية معينة ، أو لهدف ديني للعبادة في زمن معين . بل أن سفر المزامير يُعد كتاب صلاة وتمجيد للإله (يهوه) الحي القادر على كل شيء ، ويترنم به العابدون الحقيقيون له . وذلك عكس ما يقوله Balla ، Mowinckel وآخرون ، ممن قالوا إن المزامير التي تبدأ بصيغة المتكلم تعد تجارب شخصية وإختبارات خاصة فردية . ولا زالت تُرنم المزامير كلها في الكنيسة للعبادة . كتعبير عن طلب الرب وصلاة يرفعها الإنسان ويتأمل فيها بروح تكريسي ، ويطلب الرب في كل الظروف ، والثقة فيه في كل وقت (٣٧ : ٥ ، ٥٦ : ٣ ، ٢٧ : ١) ، لأنه الكامل في محبته وأمانته وبره (١٠٣ : ١٣، ١٩ : ٧، ٨، ٦٣ : ١، ٢). ونحن نرغبهاطالبين رحمته وغفرانه (٥١ : ١) لنحيا حياة القداسة (٢٢ : ١، ٣٩ : ١٢ ، ١٣) ، ولا ننساه لحظة الإنتصار (١٤٠ : ١ – ٤) .

وسفر المزامير تعبير عن ديانة القلب (٥١ : ١٠) حيث يجب أن تقدم الذبائح بعد أن يمتلك الرب كل القلب (٥١ : ١٩ ، ٤٠ : ٨) « حينئذ تسر بذبائح البر محرقة وتقدمة تامة . حينئذ يُصعدون على مذبحك عجولاً » ... « أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت . وشريعتك في وسط أحشائي » .

والعبادة كما وردت في المزامير تعد إعترافاً داخلياً بسيادة الله على الحياة، وإيماناً واثقاً فيه ، وتعبيراً خارجياً ظاهراً في العبادة له (٥٠ : ١٣ – ١٠، ٦٦ : ١٣ – ١٥) . والعبادة القلبية تنطبع على السلوك (٥١ : ١٩ ، ١٩: ١٣) ، كما تعلن مجد الله وقدرته وسيادته في الطبيعة (١٩ : ١ ، ١٠٤ : ٢، ٩٩ : ٥ ، ١٣٢ : ٧ ، قارن ٧٧ : ١٧ ، ١٨ ، ٩٢ : ٨ ، ٩٩ : ٢ ، ١١٣ : ٤ ، ٥) . كما أنها تعلن أن عقاب الرب لشعبه هو إعلان محبته لهم (١٠٦ : ٤٣ ، ٤٤، قارن مع مز ٨٩ : ١٤ ، ٧٨ ، ١٠٥). كما تعلن أنه إذا أتمت إسرائيل مشيئة الله وأطاعته وفقاً لعهده معهم ، تصير شاهدة أمينة له (أش ١٢:٤٣) . وإن لم تصنع إسرائيل مشيئة الله ، سوف يقع عليها العقاب ويتحقق عدل الله وقوته ، حتى تتسق أفعال إسرائيل وفقاً لمسرة الرب .

كما ورد بالمزامير نصوص مسيانية عديدة منها (مز ٢ ، ٧٢ ، ١١٠) التي تتحدث عن المخلص الشخصي . وإن كان لهذه المزامير أساس تاريخي، فهي في نفس الوقت تتضمن جانباً نبوياً مسيانياً « رجاء في النبي الآتي مخلص العالم والبشرية جمعاء ، الإله المتجسد » . ويعد مزمور (٢٢) مزموراً مسيانياً ، فهو يعبر عن الألم العميق لعبد الرب الأمين (ألم البار)، الألم الذي ظهر بصورة كاملة في شخص المسيح يسوع ممثلاً للبشرية كلها.

ويبدا صراع المرنم واضحاً في مشكلة ألم الإنسان البار . وكم من المرات يصرخ البار من آلامه الكثيرة ويرى نجاح الأشرار (مز ٣٧ ، ٧٣) . غير أن نجاح الشرير وقتي (٣٧ : ١٠) . والمرنم متيقن من إنتصار الإيمان في أحكام الله (٩٩ : ١ ، ٩٧ : ١) . ويجد المرنم جواباً شافياً في المثول أمام الرب ويضع مستقبله بين يدي القدير (٧٣ : ٢٣ – ٢٥ ، قارن أعداد ٢٦ – ٢٨) .

كاتب المزامير

إلى أواخر القرن ١٩ كانت تنسب المزامير إلى داود كاتباً لها (مرقس ١٢ : ٣٥ – ٣٧) ، وأنه الكاتب للمزمور (١٢) . وجاء في (أع ٤ : ٢٥ – ٢٦ ،رومية ٤ : ٦ – ٨) ما يشير إلى أن داود كاتب للمزامير . وقد كان داود عازفاً ماهراً وموسيقياً (عاموس ٦ : ٥ ، ١صم ١٦ : ١٤ – ٢٣ ، ٢صم ٦) . قارن مزمور (٢٤ : ٧ – ١٠) عند إحضار تابوت عهد الرب إلى أورشليم . ولا شك أن داود كتب معظم المزامير .

تعددت الآراء حول كاتب المزامير . فذهب بعض العلماء أن داود قام بجمع النصوص التي كتبها كثير من الشيوخ . وهذا رأي غير صحيح لعدم إستناده على الدليل العلمي . ومما لا شك فيه كما يرى بعض العلماء أن سفر المزامير صيغ بعد داود بفترة زمنية . بالإضافة إلى أن بعض المزامير كتبت وقت السبي وما بعده . وجاء في العهد الجديد أن بعض الزا .ير نسبت إلى داود (قارن أع ٤: ٢٥ ، مزمور ٢ ، أع ٢ : ٢٥ – ١٩، ١٣ : ١٦ ، مز ١٦ ، رو ٤ : ٦ – ٨ ، مز ٣٢ ، أع ١ : ١٦ – ٢٠ ، رومية ١١: ٩ – ١١، مز ٦٩ ، أع ١ ، مز ١٠٩ ، مت ٢٢ : ٤٢ – ٤٤ ، مرقس ١٢ : ٣٦ – ٣٨ ، لو ٢٠ : ٤٢ – ٤٤، أع ٢ : ٣٤ ، مز ١١٠ ، عب ٤ : ٧ ، مز ٩٥) . تلك هي شهادة العهد الجديد أن داود كتب بعض المزامير وهي حقيقة لا مجال للشك فيها (يشوع بن سيراخ ٤٧ : ٨) . وطبقاً لإشارات عديدة في العهد القديم ، يعد داود ناظماً للتسبيحة الدينية في الخدمة بالمسكن (قارن ١أخ ٦ : ٣١ ، ١٦ : ٧ ، ٢٥ :

١، عزرا ٣ : ١٠ ، نح ١٢ : ٢٤ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٤٦ ، صا ٦ : ٥) . وهناك مزامير عديدة لها عنوان (لداود) . وجاء في العبرية أن المزامير التي تحمل عنوان لداود هي ٧٣ مزمورا ، وفي السبعينية ٤٨ مزموراً ، وفي اللاتينية ٨٥ مزموراً . وهذا لا يعني أن داود كتب هذه المزامير . ويرجح أن بعضها قصد من عنوانه لداود أنها كتبت بذات الروح التي لداود ، فهي مهداة له . هذا من جانب . ومن الجانب الآخر توجد مزامير أخرى تشير لأحداث تاريخية تمت ووقعت لداود في حياته (مز ٣ ، ٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ١٤٢) .

ويقصد بالكلمة « لداود » أنها كتبت بواسطة داود . وسوف ندرك قيمة هذه الشهادة بالدراسة فيما بعد كما يرى العلماء المحافظون . وهناك البراهين العديدة التي تؤكد أن داود كاتب للكثير من المزامير، لما تمتع به من مهارة فائقة في الموسيقى والعزف . وظهر ذلك في المناسبات العديدة مع شاول الذي كانت تطيب روحه. بالإضافة إلى النبي عاموس الذي أشار إلى هذه المقدرة في (عاموس ٦:٥).

تمتع داود بموهبة الكتابة بأسلوب الشعر . وظهرت هذه المقدرة الفائقة في مرثاته ليوناثان وشاول (٢صم ١ : ١٩ - ٢٧) ، وهي كلمات نطق بها بعد سماعه نبأ مقتل عدوه شاول ، الذي طالما جدّ في القضاء عليه. ومرثاة داود ليست إلا تعبيراً صادقاً عن قلبه المحب الكبير وعظمة شخصيته وروحه الصادقة الصافية. وهو بلا جدال الشاعر القدير المتمتع بالخيال الخصب.

تعبد داود لإلهه بحق . وكانت له تجاربه الكثيرة وإختياراته المتباينة والرائدة الغنية إذ سكن فيه روح الرب (١صم ١٦ : ١٣) .

إنه داود الذي عمل كل ما هو مستقيم في عين الرب ، ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته إلا في قضية أوريا الحثي (١مل ١٥ : ٥) . ونال عقاباً رادعاً عادلاً ، لأنه جعل أعداء الرب يشمتون (٢صم ١٢ : ١٤) . إلا أن داود لم يفقد رجاءه في الرب مخلصه وفاديه (قارن مزمور ٥١) .

نخلص مما سبق أن داود كان قادراً على كتابة الكثير من المزامير ، بالإضافة إلى شهادة العهد الجديد . وهذا لا يعني أن داود كتب كل المزامير. فهذا لم يرد في المزامير ذاتها . في نفس الوقت لا يوجد الدليل القاطع علي أن المزامير التي تحمل عنوان (لداود) لم يكتبها هو .

شهادة العناوين

ورد بالمزامير أن ٧٣ مزموراً نسبت لداود حسب الأصل العبري و ١٢ لآساف (مز ٥٠ ، ٧٣ - ٨٣)، (قارن ١أخ ١٥ : ١٧ ، ١٦ : ١٥) . ونسبت ١٠ مزامير لبني قورح هي : (٤٢ ، ٤٤ - ٤٩ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨)، (قارن ١٦ ، ٢٦ : ١٠ ، ١أخ ٩ : ١٩) . ومزموران لسليمان (٧٢ ، ١٢٧)، ومز (٨٨) لهيمان الأزراحي ، ومز (٨٩) لأيثان الأزراحي ، ومز (٩٠) لموسى .

وهذه العناوين رفضها كثيرون من العلماء النقديين ، واعتقدوا أن العناوين أضيفت إلى المزامير في وقت متأخر بعد كتابتها ، والعناوين الخاصة بأحداث داود أقتبست من سفري صموئيل . ورفض R.Pfeiffer الإعتقاد بوجود مزامير مكتوبة زمن ما قبل السبي . ويتساءل العلماء المحافظون : لماذا لا يكون داود هو الذي رنم مزمور (٧) بسبب كلام كوش البنياميني ؟ ولماذا لا ينظر لمزمور (١٨) كترنيمة ترنم بها داود عندما نجا من وجه شاول ، أو مزمور (٣٠) عند تدشين داود لبيته ؟ أليست هذه إشارات إلى أن العناوين أضيفت مبكراً بواسطة من عرفوا حقائق الظروف التي كتبت فيها هذه المزامير ؟ وإذا كانت هذه العناوين وضعها أناس أتقياء مكرسون في عصر ما بعد السبي ، فلماذا لم يضعوا عناوين لبقية المزامير ؟ فهناك مزامير بلا عنوان، في الوقت الذي يجب أن يدرك المرء قيمة هذه العناوين . وعندما نأخذ في الإعتبار أن مزمور (١٨) مأخوذ من (٢صم ٢٢) (كما يقول أ . يونج) ، يرجح في هذه الحالة أن تكون بعض المزامير وعناوينها مبنية على سفر صموئيل. إلا إذا كانت شهادة العنوان لا تتفق ومادة المزمور ، فيمكن القول في هذه الحالة أن العنوان أضيف إلى المزمور .

تحدث داود في بعض المزامير بصيغة الغائب (مز ٢٠ ، ٢١ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ١١٠) ، مما جعل البعض يذهب إلى الإعتقاد أن داود لم يكن كاتباً لهذه المزامير . والحقيقة أنه لا مكان للإعتراض كما يرى العلماء حسبما ورد في أسلوب الكتابة قديماً بأسلوب الغائب ، بالإضافة إلى ما ورد في سفر أعمال الرسل (٢: ٢٤) إذ ينسب مزمور (١١٠) إلى داود .

توجد مزامير بها إشارات عديدة عن الهيكل ، ومن الصعب في هذه الحالة أن يكون داود كاتباً لهذه المزامير (٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠١ ، ١٣٨) لأننا نعلم ، أن الهيكل تم بناؤه بعد موت داود .

والجدير بالملاحظة هنا أن خيمة الإجتماع سميت بالمكان المقدس (خروج ٢٨ : ٣٨ ، ٢٩ : ٣٠)،

وبيت الرب (يش ٦ : ٢٤) ، وخيمة الإجتماع دُعيت بيت الرب (قض ١٨ : ٣١ ، ١صم ١ : ٧) ، أماالإشارة عن الهيكل فقد وردت في (١صم ١ : ٩ ، ٣ : ٣) . والمرجح أن يكون قصد وإشارة داود وحديثه عن الهيكل هو بذات المعنى . وأن المقصود به هو خيمة الإجتماع (قارن ٢صم ١٢ : ٢٠) . والملاحظ أن مكان العبادة كما ورد في (مز ٢٧: ٤) وبيت الرب والهيكل في عدد (٥) ، يقصد به المظلة والخيمة ، التي لا يمكن أن تكون إشارة عن هيكل سليمان الذي بنى بعد موت داود كما سلفت الإشارة. وجاء في بعض المزامير إعتراض جماعة الأتقياء ضد السلطات الحاكمة الشريرة . وقيل بأنه لا يمكن لداود أن يكون كاتباً لهذه المزامير (٩ ، ١٢ ، ١٤، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ١٠١) . والسؤال من هم الأعداء المشار إليهم في هذه المزامير حتى يعلن داود عدم رضاه عنهم ؟ أشار أحدهم إلي أن الأعداء هم السحرة الذين بسببهم حلت الكوارث والأوبئة . إلا أن المزامير ترجع الكوارث إلى الرب ولخطية الشعب نفسه . بمعنى أن داود واجه ضيقات شديدة وكان له أعداء هم أناس إشتغلوا بالسحر وخلافه. وهذا واضح من النصوص الكثيرة (قارن ١صم ١٨ : ٢٧ ، ٢صم ١٥ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢) والتي نجم عنها الكثير .

مما سبق يمكن القول بأن عناوين المزامير تعد بمثابة إشارة إلي كاتبي هذه المزامير في غالبيتها . وتوجد مزامير لا تحمل عنواناً على الإطلاق كتبت على نمط مزامير داود (أمثلة هذه المزامير ١٠ ، ٣٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧١) . وربما يكون داود هو كاتب هذه المزامير . فكاتب سفر الأعمال ينسب مزمور (٢) إلى داود (أع ٤ : ٢٢ - ٢٤) ، وينسب كثيرون مزموري (١٣٧ ، ١٢٦) إلى زمن السبي . وليس سهلاً تحديد زمن كتابة مزمور لا يحمل عنواناً . هذا إذا كانت مادته غير محددة مثل مزمور (١٣٧) ، الذي لا يعطي إشارة عن كاتبه أو زمن كتابته .

ومن المرجح أن يكون داود هو أول من إستخدم المزامير في العبادة الدينية (١أخ ١٦ : ٤ - ٦) . كما رسم خدمة الترنيم في المسكن (١أخ ٦ : ٣١ ، قارن أيضاً ٢أخ ٦ : ٣١ ، ٧ : ٦ ، ٢٣ : ١٨ ، ٢٩: ٣٠ ، عزرا ٣ : ١٠ - ١٢ ، نحميا ١٢ : ٢٤ ، ٢٧ - ٢٩) . ومن الصعب معرفة أو تحديد كم عدد المزامير التي جمع ورتب وإستخدم منها في المسكن . وربما كان الملك حزقيا هو الذي قام بتثبيت الأجزاء الثلاثة من المزامير ومن بينها مزامير داود وآساف (٢أخ ٢٩ : ٢٠) . وليس من السهل معرفة كيف ومتى تم جمع الجزء الرابع من (مز ٩٠ - ١٠٦) . وربما كان عزرا الكاتب الذي صاغ السفر في شكله وصورته النهائية .

ويرى ب. أندرسون أن داود هو الذي كتب معظم المزامير. أما ترتيبها في شكلها النهائي فقد تم زمن ما بعد السبي . حيث اشترك في كتابة بعض هذه المزامير آخرون مثل آساف وبنو قورح الذين عاشوا خلال تلك الفترة . وبهذا يغطي سفر المزامير فترة زمنية تصل إلى ألف عام ، إذ كتب وترنم بهذه المزامير كثيرون بدءاً من موسى وداود وسليمان وآساف وبني قورح الذين عاشوا خلال فترة ما بعد السبي .

إن سفر المزامير يعبر بعمق وبصدق عن الكيان الإنساني في أفراحه وآلامه، في إبتهاجه وبؤسه . ولا عجب في أن يستخدم المسيحيون كلمات المزامير على أنها كلماتهم ، لأن المرنم يتحدث بها إلهنا ويتحدث بها عنا .

إنها صرخة كل إنسان من الأعماق .

القيمة العظمى للمزامير وأهميتها فى العبادة

تعد المزامير بمثابة تجاوب إنساني مع أعمال الله العجيبة للإنسان وكلمته المقدسة . إنه تسبيح مسموع وتمجيد للرب لأعمال يديه في الخليقة والتاريخ كما يرى ڤيسترمان C.Westermann .

وقد شهد البعض أن المزامير مكنتهم من أن يتحدثوا إلى الله من الأعماق . ويرى ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer (الشهيد المسيحي ، أيام هتلر وحكمه النازي . والذي كان له التأثير العظيم في تعاليمه اللاهوتية وكتاباته في القرن العشرين) ، يرى بأن المزامير هي أحب الأسفار المقدسة إلى قلبه . وكما علّمنا يسوع المسيح الصلاة الربانية ، لنا في سفر المزامير « كتاب الصلاة » ، كل الملء والغنى الروحي. إذ يريد الله منا أن نتحدث إليه بكلمات هذه المزامير في إسم يسوع المسيح .

وكما يذكر أندرسون ، كان لسفر المزامير أكبر الأثر في حياة ديتريش بونهوفر الباحث والعالم الكبير . فكم شعر بغنى وفيض نعمة الله المصاحبة له في زنزانته ، والتي ظهرت في كتاباته وهو في السجن . فبعثت فيه الطمأنينة والرجاء وكل فرح وتهليل في الرب صانعه وفادي نفسه من الظلم وظلال الموت . وكم إكتنز من المزامير خاصة مزموري (٣ ، ٧.) كمراثي . فقد كان بونهوفر يقضي كل وقته يقرأ المزامير متأملاً . ويكتب بكل قواه الخلاقة التي مكنته أن يتقبل ظروفه هذه ، موقناً أنها فترة إمتحان لإيمانه « في يدك آجالي » (مزمور ٣١ : ١٥) .

لقد أدرك بونهوفر Bonhoeffer كيف يصلي مزامير المراثي بفرح من الأعماق . الفرح التام في الرب

في الوقت العصيب الأليم . كما كان ينشد الفرح والبهجة ، بإيمانه هذا في إلهه ، الذي هو حقيقة مؤكدة بالنسبة له . وكم شعر أنه قريب منه أمام كل تهديدات ومشاعر فقدان الرجاء . فقد صارت المزامير بالنسبة له تسبيحات تعبر عن الفرح الذي يملأ حياته بكل جوانبها ، وكم هو طيب هذا الإله . متجاوباً مع دعوة المرنم : ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب . طوبى للرجل المتوكل عليه (٣٤ : ٨) .

إنه سفر صلاة كنيسة يسوع المسيح مع الصلاة الربانية كما يرى جودسي John Godsey .

وإلى اليوم تحتل المزامير مكانة أساسية وهامة في العبادة في كل الكنائس بطوائفها العديدة ، وبصفة خاصة في الأديرة. حيث تُقرأ المزامير وتحفظ غيباً مرة في الأسبوع . وفي الكنيسة الإنجليكانية تُقرأ المزامير مرة في الشهر . وفي الكنائس الإنجيلية تقرأ المزامير وترنم في أوقات العبادة داخل الكنيسة وخارجها . إن سفر المزامير وسفر إشعياء من أكثر الأسفار التي لها التأثير الواضح على فكر كاتبي أسفار العهد الجديد.

إنه سفر شهادة ليسوع المسيح . وكلمات موجهة إلى الله في تضرع وإبتهاج قلب . إنه تسبيحات وأغاني الإنسان الروحية ، يصعدها من الأعماق إلى الأعماق .

وسفر المزامير يجمع بين الشعر والأغنية والصلاة . إنه يُنسب إلى عالم لم يعد عالمنا ، ولا ندرك الكثير مما إحتواه السفر كما يرى أحد العلماء . إلا أن المزامير تتحدث إلى المرء الذي يحيا حياته بعمق وليس على السطح ، في معترك الحياة ومشاكلها المختلفة . لهذا تُسمَع المزامير وتُلهَم جيلاً ، لأنها تتحدث إلى كل إنسان في كل مكان وكل زمان . وفي المزامير تجديد وقوة لكل ضعيف ويائس . كما أنها تعمق ربط ووثق الإنسان بإلهه ، في آلامه وأحزانه ، وأفراحه وأمجاده . لأنه إله الكل . إله البار وإله الشرير ، وسيادته على الجميع ، إله الأعماق وإله الأعالي . ورب الخليقة ورب التاريخ .

كما وردت ترانيم وأغاني روحية عديدة متفرقة في الأسفار المقدسة . لتترنم بها كنيسة المسيح في سياحتها في هذا العالم . ويمكن أن نوجز الإشارة عن هذه الترنيمات فيما يلي :

ترنيمة موسى أوترنيمة عبور البحر (خروج ١٥ : ١ - ١٨) التي ترنم بها موسى وبنو إسرائيل إبتهاجاً بخلاص الرب (يهوه) لهم من العبودية القاسية في أرض مصر . فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها . وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص . وأجابتهم مريم : رنموا للرب فإنه قد تعظم ،

الفرس وراكبه طرحهما في البحر » (خروج ١٥ : ٢٠ - ٢١) .

وترنيمة موسى (تث ٣٢ : ١ - ٤٣) التي تعكس أمانة الله مع شعب غير أمين ، ولطف الله ومحبته وإحسانه نحو شعب صلب الرقبة ومعاند .

وترنيمة شكر (١صم ٢ : ١ - ١٠) ترنمت بها حنة أم صموئيل .

وترنيمة خلاصية ترنم بها داود (٢صم ٢٢ : ٢ - ٥١) .

ووردت ترانيم عديدة في سفر أيوب (٥ : ٨ - ١٦ ، ٩ : ٤ - ١٠ ، ١٢ : ١٢ - ٧ : ١٠ ، ١٢ : ١٣- ٢٥) . كما يشير أندرسون إلى بعض مزامير المراثي التي وردت بسفر أيوب أيضاً (١٥ : ١٥ - ١٨ ، ١٧ : ١٤ - ١٨ ، ١٨ : ١٩ - ٢٣) .

وترانيم شكر للرب وردت في سفر إشعياء (إش ٤٢ : ٤ - ٦ ، ١٠ - ١٢ ، ٥٢ : ٩ - ١٠) .

ومزامير المراثي جاءت في سفر إرميا (١٥ : ١٥ - ١٨ ، ١٧ : ١٤ - ١٨ ، ١٨ : ١٩ - ٢٣) . أنظر أيضاً مراثي إرمياء في الأصحاحين الثالث والخامس .

ومزمور شكر ليونان الذي أصعده إلي الرب من جوف الحوت (٢ : ١ - ٩). وصلاة مزمور حبقوق مسبحاً الرب لانتصاره لشعبه (حب ٣ : ٢ - ١٩) .

نخلص مما سبق بأن الكتب المقدسة ليست بمثابة قصة تعاملات الله مع شعب بعينه فقط ، بل أيضاً شهادة الإنسان لله في شكر وعرفان ، وخضوع وولاء ، ومراثي وتضرع لإلهه . الذي خلصه وإفتداه عن غير إستحقاق خلال رحلته السياحية عبر التاريخ .

أنها كلها تسبيحات شكر وتمجيد ، ومراثي وتضرع وصراخ وعرفان وشهادة للرب بأن له المجد والعظمة والقدرة والسلطان إلى دور فدور .

أنشودة الثقة والطمان الكامل فى الرب

الرب راعي فلا يعوزني شيء ...

يعد مزمور (٢٣) نموذجاً لأناشيد الثقة والتمجيد للرب . فقد جمع بين بساطة التعبير ، وجمال

وعمق المعنى . وكم لمست كلمات هذا المزمور قلوب كثيرين من أقصى الأرض إلى أقصاها عبر القرون الطويلة من الزمان . وقد حفظه الأطفال من الصغر ، وثبّت كثيرين من العظماء والفهماء في مواجهة أخطار الحياة ومشاكلها المعقدة المزعجة لنفوسهم وعقولهم، إذ بعث الطمأنينة والسلام والراحة إلى نفوسهم المتعبة، وتثبتت خطواتهم بالثقة الكاملة في راعيهم الأعظم . فهذا المزموراليس مثله بين المزامير يقدم معنى وقيمة لحياة الإنسان من المهد إلى اللحد .

والراعي كما يصوره لنا المرنم في مزموره ، هو الحارس والحافظ لأغنامه في تجوالها للرعي ، والبحث عن الخضرة والمياه العذبة كما أنه حارس المسافر في البادية الذي يجد لدى الراعي كرماً وضيافة في خيمته، ومكاناً يحتمي فيه من مخاطر الحر والبرد وأعداء الصحراء .

إن الرب الذي في مزمور (٢٣) ، هو القائد ... والمضيف الكريم .

والمرنم يشبه ثقته في الرب بثقة الرعية التي تتبع راعيها في طمان كامل . تسير حيث هو يسير ، وتتجه حيث يريد راعيها ، حيث المراعي الخضر والمياه الرقراقة . وقد ورد هذا التشبيه في الكتب المقدسة (مزمور .٨ : ١ ، ٩٥ : ٧، ..١ : ٣ ، إش .٤ : ١١ ، ٤٩ : ٩ - .١ ، ٦٣ : ١٤ ، حزقيال ٣٤ : .١ - ١٢) . وفي العهد الجديد (لوقا ١٥ : ٣ - ٧ ، يوحنا .١ : ١ - ١٨). وماذا يعوزني إذا كان الرب راعيّ ؟

وقد تردد صدى هذه الكلمات في مزمور (٧٣) : « من لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً في الأرض . قد فنى لحمي وقلبي . صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر » (مز ٧٣ : ٢٥ - ٢٦) .

. والمرنم هنا كما يرى علماء كثيرون ، لا يتحدث عن إيمان هزيل . أو يتطلع إلى عالم آخر بعيداً عن تجارب هذه الحياة في هذا العالم . بل يعلن عن إيمانه في الله الذي يجدد حياته وينعشها لإستمرار الحياة هنا والآن . ويتجسد هذا الفكر في كلماته « في مراعٍ خضر يربضني . إلى مياه الراحة يوردني » . والمرنم على علم بالتهديدات الشرسة التي تواجهه ، عالماً أن إلهه سيخلصه وينقذه « لمجد إسمه » (٢٣ : ٣) . لأن طبيعة إلهه وراعيه هي الرأفة والحنان .

والأغنام قد تتجه في أحيان كثيرة إلى الأماكن الوعرة المحجرة والمياه الصاخبة المرجفة . كما أن الراعي نفسه قد يجتاز بها عبر الأماكن المظلمة المخيفة « وادي ظل الموت » حيث الوحوش الشرسة المفترسة. لكن

في هذه جميعها يحيط الراعي رعيته بالخير الوفير . برحمته ومحبته كل أيام الحياة، وبلا حدود . حيث يحوِّل ظل الموت صبحاً (عاموس ٥ : ٩) . ويشرق الرب عليهم بنوره العظيم (إش ٩ : ٢) . حتى تنعم هذه الرعية بالحِمى والخير الكثير .

« ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ » : تصور هذه الكلمات كما يرى أحد العلماء ، صورة واضحة للمسافر في البادية ، والمتعب من كل وجه، حينما يلجأ إلى الراعي المقيم في خيمته في الصحراء ، فتهدأ نفسه ويجد راحته في خيمة الراعي، ولا يجد مضايقوه الذين كانوا يلاحقونه لافتراسه، غير نار الغضب الذي يفترسهم من الداخل وهم يرونه يجلس وأمامه المائدة التي أُعِدت له .

« إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي . وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام » . وبيت الرب المشار إليه في هذه الكلمات كما يرى العلماء، هو المرادف لخيمة الراعي حيث السلام والطمان والكرم الذي يحيط به الراعي كل من يلجأ إلى خيمته (قارن مزمور ٢٧ : ١ - ٦) . « لأنه يُخَبِّئني في مظلته في يوم الشر . يسترني بستر خيمته » (٢٧ : ٥ ، قارن ٦١ : ٤) . لقد وُضعت أمامه مائدة ، معدة له ، وينظرها مضايقوه ، ولا يستطيع أحد منهم أن يؤذيه . بل يتلئ قلبه بالتهليل والترنم « الآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف . أغني وأرنم للرب » (٢٧ : ٦) . ولم يعد الأعداء هم الذين يلاحقونه الآن ، بل نعمة الله وخيره الجزيل هما اللذان يلاحقانه ويتبعانه أينما توجه وأينما حل ، كل أيام الحياة . « إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي » (٢٣ : ٦) .

بل أن خير هذا الراعي وإهتمامه به ، يمتد إلى ما بعد هذه الحياة الوقتية المعدودة والمحدودة (قارن ١كو ١٥ : ٢٦) .

رأس الحكمة وأساسها القويم : مخافة الرب (تقواه)

« فم الصديق (البار) يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق . شريعة إلهه في قلبه (يلهج فيها نهاراً وليلاً) . لا تتقلقل خطواته » (٣٧ : ٣٠ - ٣١ ، قارن مزمور ١ ، ١٩ ، ١١٩) . وفي عبارة واحدة صاغتها تجربة إسرائيل في خلاصها التاريخي « رأس الحكمة مخافة الرب » (١١١ : ١٠ ، أم ٩ : ١٠ ، أيوب ٢٨ : ٢٨) .

إن أساس الحكمة يكمن في الإيمان بالرب المخلص والعامل في التاريخ. والشخص الذي ينعم بتطويبات

إلهه هو «الرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس » (١ : ١). وما أسعده من إنسان .

وتبني تعاليم مزامير الحكمة (٣٦ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣) – كما يرى أحد الباحثين– على وجود طريقين أمام الإنسان . طريق الحياة الذي يتبعه العاقل الحكيم . وطريق التدمير والهلاك الذي يتبعه الجاهل الأحمق (قارن مت ٧ : ١٣ - ١٤) .

إنها نعمة الله التي تحيط بالعاقل الحكيم حتى يسير ويحيا في طريقه القويم ، طريق الخلاص والنجاة. إنه خوف الله وتقواه ، باللهج في أحكامه ووصاياه « في ناموس الرب مسرته ، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً فلا تتقلقل خطواته » (١ : ٢ ، ٣٧ : ٣١) .

ما أطيب الرب

بهذه الكلمات يهتف المرنم مسبحاً ومنشداً . إذ ليس مثل الرب في الصلاح والمحبة ، في القداسة والرأفة .

لذا يقدم دعوته لكل إنسان منادياً : ذوقوا وانظروا ما أطيبه ، وقد فاقت محبته كل تصور وفكر بشري . الأشبال إحتاجت وجاعت ، أما طالبوا الرب فلم يعوزهم شيء من الخير (٣٤ : ٨ - ١٠) .

والجدير بالإشارة ، أن الدارس للمزامير يجد أن المرنم في مراثيه (مزامير المراثي) التي ترنم بها ، تبدأ بقسط وافر من الشكوى والتذمر ، وتنتهي بالشكر والتسبيح . وأمثلة ذلك ما يلي :

« أحْمَدُ الرب حسب بره . وأرنم لإسم الرب العلي » (٧ : ١٧) .

« اللهم عليَّ نذورك . أوفي ذبائح شكر لك . لأنك نجَّيت نفسي من الموت. نعم ورجليَّ من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الأحياء » (٥٦ : ١٢ – ١٣).

ويختتم مزمور (٥٧) بتسبيحة الشكر : « ثابت قلبي يا الله ثابت قلبي. أغني وأرنم . إستيقظ يا مجدي . إستيقظي يا رباب وياعود أنا أستيقظ سَحَراً. أحمدك بين الشعوب يارب . أرنم لك بين الأمم . لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات وإلى الغمام حقك . ارتفع اللهم على السموات . ليرتفع على كل الأرض مجدك » (٥٧ : ٧ – ١١ ، قارن مزمور ٢٢ : ٢٢ – ٣١) .

إن مرجع الشكر والتسبيح كخاتمة لكل مرثاة هو الثقة العميقة والأكيدة في الرب . الإله ، الذي يحول الحزن والتنهد إلى فرح وإبتهاج ، والتذمر والمرثاة إلى شكر وسرور في الرب . إنه الإيمان واليقين الكامل في محبة الله وإحسانه للمستغيثين الصارخين إليه (قارن مزمور ٥٥ : ٢٢) .

مما سبق يدرك المرء أن العلاقة وثيقة بين مرثاة الإنسان المؤمن الواثق في الرب ، وشكره العميق لإلهه المخلص والمنقذ « مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعي . الرب عزي وتُرسي عليه إتكل قلبي فانتصرت . ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده » (٢٨ : ٦ - ٧) . ونجد صدى الإيمان في العهد الجديد، إذ يناشد الرسول بولس أهل أفسس قائلاً لهم : « ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل إمتلئوا بالروح، مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية ، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب، شاكرين كل حين على كل شيء في إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب » (أفسس ٥ : ١٨ - ٢٠) .

« شوكة الموت هي الخطية » (١كو ١٥ : ٥٦)

بهذه الكلمات عبر فيلسوف المسيحية بولس الرسول عن القوة المدمرة التي تفضي إلى الموت . لهذا نجد المرنم في مزمور (٣٢) (بين مزامير التوبة) يعلن عن سعادته بخلاص الرب له وغفرانه خطيئته التي كادت أن تدمر حياته بالتمام قبل إعترافه بها أمام إلهه « لما سَكَتُّ بَلِيَت عظامي من زفيري (تنهدي) اليوم كله ، لأن يدك ثَقُلَتْ عليَّ نهاراً وليلاً . تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ. أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي . قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت أثام خطيتي » (٣٢ : ٣ - ٥) .

إنه مزمور شكر أيضاً وتهليل للخلاص من قوة الموت .

هذا الموت بالنسبة للمرنم هو فقدان الإنسان الفرد قدرته على التهليل للرب والإبتهاج فيه ، لأنه إنسان ميت . وعند عودة هذا الإنسان إلى جماعة العابدين الفرحين في الرب ، يجد نفسه، إذ تعود إليه الحياة ويرفع تسبيحاته إلى مخلصه وغافر خطاياه . معلناً بأنه الرب الذي أعاد له الحياة « يرد نفسي . يهديني إلى سبل البر من أجل إسمه » (٢٣ : ٣) .

فلا بد أن تسير الحياة بأوجاعها وآلامها وزفيرها . لكن هذه كلها ستتحول بواسطة الشعب الواثق في الرب إلى ترانيم وأناشيد علنية ، مؤمناً أنه سيرىَ جود الرب في أرض هذه الحياة . « أرض الأحياء » (٢٧: ١٣).

وجود الله هذا يكتمل ويصل إلى الملء في إنجيل العهد الجديد بالمسيح يسوع ، الذي جاء لتكون للإنسان حياةٌ بل وأفضل حياة .

وتظهر أعمال الله العظيمة في كلمات المرنم في مزمور الخلاص التاريخي (١٣٦) ، التي تعبر عن أعمال الله المجيدة في الخلق (٤- ٩) . وهذا النوع من السبح والترنيم يجد صداه في مزمور (٣٣) الذي يقدم تفسيراً عميقاً لأساس هذا السبح والتمجيد « لأن كلمة الرب مستقيمة وكل صنعه بالأمانة . يحب البر والعدل . إمتلأت الأرض من رحمة الرب » (٣٣ : ٤ - ٥) . ثم يستطرد المرنم قائلاً : « بكلمة الرب صُنِعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها » (٦ - ٩) ، موضحاً سلطان الله على الأرض كلها وعلى جميع الشعوب والممالك (١٠ - ١٩) . ويختتم بكلمات الثقة في الرب الخالق والفادي؛ «أنفسنا إنتظرت الرب . معونتنا وترسنا هو . لأنه به تفرح قلوبنا لأننا على إسمه القدوس إتكلنا . لتكن يارب رحمتك علينا حسبما إنتظرناك » (٣٣ : ٢٠ - ٢٢) .

إن إختيار الله لإسرائيل وإعلان إسمه القدوس لهم ، لهو برهان على محبة الله لشعوب الأرض كلها . لأن الرب إختارها لتكون أداته للشهادة لإسمه المبارك بالحق والعدل أمام شعوب المسكونة وأمم العالم، فتتعرف هذه الشعوب على الرب ، وتحفظ وصاياه وأحكامه . وتنعكس هذه الحقيقة في دعوة المرنم لكل إنسان أن يسبح الرب ويبتهج فيه : « باركوا الرب (أعبدوا الرب) ياجميع أعماله . في كل مواضع سلطانه » (١٠٣ : ٢٢ ، قارن مزمور ١٠٣ ، مزمور ١١٣) «من مشرق الشمس إلى مغربها إسم الرب مُسَبَّح . الرب عالٍ فوق كل الأمم . فوق السموات مجده » (١١٣ : ٣ - ٤) . وهذا ليس ببعيد عن إعلان الرسول يوحنا في مستهل إنجيله (١ : ١) « في البدء ... » (قارن تكوين ١ : ١) . وهذا الإنجيل يؤكد حقيقة إعلان الله في المسيح الكلمة ، الذي به خلق العالمين وثبتها . « إنه النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم » (يوحنا ١ : ٩) .

المزمور المئة والتاسع عشر

يعد المزمور الأول من أكثر المزامير المحفوظة لدى الشعب ، حيث يُطوّب فيه الرجل العاقل الحكيم الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف، بل يلهج في كلام الرب الذي هو مسرته وبهجة نفسه، وبهذا يكون مثل شجرة مغروسة على مجاري مياه، التي تعطي ثمرها المتكاثر في أوانه دائماً ، وورقها يكون ناضراً مزدهراً لا يذبل . وعلى النقيض من ذلك نجد الشرير مثل العصافة التي تذريها الريح .

هذا الأسلوب نفسه نجده مطولاً وممتداً في المزمور المئة والتاسع عشر. أطول المزامير.

إنه مزمور تكريسي ، نُظِمَ بأسلوب الشعر على غرار المزامير الأخرى ، وبأسلوب رائع بديع . إذ يُكَوِّن نسيجاً واحداً متماسكاً ومتناسقاً . ويتكون من إثنين وعشرين نصاً هي عدد الحروف الأبجدية العبرية وبترتيبها .

وكل نص من الإثنين والعشرين نصاً المكونة لهذا المزمور ، يتكون من ثماني آيات . فتكون مجموع آياته (١٧٦ آية) . والآيات الثمانية لكل نص تبدأ بذات الحرف الذي وضع عنواناً لهذا النص ، ذلك في اللغة الأصلية العبرية . فمثلاً النص الذي يحمل عنوانه الحرف « أ » (أليف) تبدأ آياته بالحرف « أ » . والنص الذي يحمل عنوانه الحرف « ب » (بيت) تبدأ آياته فيه بالحرف «ب»، وهكذا إلى آخر حروف الأبجدية العبرية وهو الحرف « ت » (تاف) الذي يمثل آخر أجزاء المزمور (١١٩) .

ويرى أحد العلماء أنه إذا قرأ المرء المزمور في جلسة واحدة، فإنه يشعر بفيض عميق من الروحانية والتقوى تسير في أوصاله، كما يشعر بأنه في عالم آخر، يقف فيه أمام شخص يحمل شهادة قوية للحقيقة العظمى، بأن كلمة الله هي أساس غنى حياته ، وهي التي أعطت لحياته قيمة ومعنى. كما يتضح من عباراته : « علمني يارب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية » (عدد ٣٣) . ويدرك المرنم أنه بدون وصايا إلهه لا يستطيع أن يجد حياته أو طريقه في هذه الحياة لمواجهة مشاكلها العديدة المعقدة « سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (عدد ١٠٥) . « لو لم تكن شريعتك لذتي لهلكتُ حينئذ في مذلتي » (عدد ٩٢) . ويعلن المرنم ذلك بوضوح في قوله : « هذه هي تعزيتي في مذلتي . لأن قولك أحياني » (عدد ٥٠) . إنها كلمة الله الحية المكتوبة ، تعاليمه ووصاياه ، شرائعة وأحكامه التي هي أحلى من العسل وقطر الشهاد . « وما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي » (عدد ١٠٣). إنهاكلمة الرب التي يقف أمامها المرنم ، وهي مصدر سعادته وسر قوته في مواجهة آلام هذه الحياة وضروبها المختلفة . يهتف منشداً في صلاته « إكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك » (١١٩ : ١٨) . لأنه « لكل كمال رأيت حداً . أما وصيتك فواسعة جداً » (عدد ٩٦) .

دراسة المزامير في نور المسيح يسوع

يتساءل المرء : إلى أي مدى يتحدث سفر المزامير عن المسيح يسوع ؟ فقد ورد في العهد الجديد الكثير من الإشارات التي تفيد أن المزامير تتحدث عن ألم الملك الذي يمهد لملكوت الله . كما تصور المزامير

الألم والمعاناة التي يجتازها الملك لإتمام مهمته .

وفي هذا يرى ب. أندرسون ، أن تاريخ إسرائيل بدءاً من العبودية في مصر إلى السبي والعودة من السبي وإعادة بناء الهيكل ، أيام عزرا ونحميا والنبيين حجي وزكريا ، تعد قصة ألم ومعاناة، إختبرت فيه إسرائيل حقيقة الله وسط هذا الألم . الألم الذي تحدث عنه إشعياء النبي بأنه خيرها وخير الأمم كلها . حتي تتحدث إسرائيل إلى الأمم والشعوب الوثنية الأخرى عن خلاص الرب لها من الألم ، فتتعرف هذه الشعوب على الرب وتسير في طريقه .

في هذا الألم يعبر المرنم عن إختباره مع إلهه :

« **ولكني دائماً معك . أمسكت بيدي اليمنى** » (٧٣ : ٢٣ ، قارن مزمور ١٦ : ٨) . والكلمات هنا لا تعني تحولاً عن المشكلات . بل وجود الله معه في المشكلة ذاتها مع تعضيد الرب له ، والإنتصار المحقق في النهاية . إنه إنتصار الله في الألم ومع المتألم . وإنتصار الله في المسيح . الأمر الذي عبر عنه بولس الرسول قائلاً : « في هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذي أحبنا » .

فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا » (رومية ٨ : ٣٧ - ٣٩) .

هذا يعني كما يفيد بونهوفر Bonhoeffer أن المسيح الرب هو دائماً معنا في آلامنا وصلواتنا وفي إنتصارنا . وبهذا الإيمان يستطيع المرء أن يرنم ويسبح المزامير في إسم يسوع المسيح ولمجد الله الآب .

ويشير أحد العلماء إلى المزمور الثاني ، والمزمور المئة والعاشر بأنهما مرتبطان بإحتفال هام ، وهو تتويج الملك . فيتحدث الرب قائلاً : « أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي » . ويجيب الملك « إني أخبر من جهة قضاء الرب . قال لي أنت إبني . أنا اليوم ولدتك . إسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك » (٢ : ٤ - ٨) . هنا وعد الرب له بالنصرة على الأعداء . كما يُشار عن الملك بأنه إبن الله (٢ : ٧ ، قارن أعمال ١٣ : ٣٣ ، عب ١ : ٥ ، ٥ : ٥) . وبالمثل في المزمور المئة والعاشر يتحدث المرنم قائلاً : « قال الرب لربي إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » ١١٠ : ١ ، قارن مت ٢٢ : ٤٤ ، مرقس ١٢ : ٣٦ ، لوقا ٢٠ : ٤٢ - ٤٣ ، أع ٢ : ٣٤ - ٣٥ ، عب ١ :

١٣) . في هذين المزمورين إشارة واضحة عن المسيا كابن لله ، وهي حقيقة أكدها الرب نفسه في العهد الجديد في الأناجيل ، والرسل أيضاً في رسائلهم .

ويرى فيسترمان C.Westermann في كلمات المزمور المئة والثالث عشر، إشارة مباشرة إلى السيد المسيح رب المجد، « الذي أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس » (فيلبي ٢ : ٧) .فالمزمور يقول « الرب عالٍ فوق كل الأرض . فوق السموات مجده . من مثل الرب إلهنا الساكن في الأعالي . الناظر الاسافل في السموات وفي الأرض » (١١٣ : ٤ – ٦) . إنه الإله الذي يُسر بأن يقيم المسكين من التراب والبائس من المزبلة . لكي يُجلسه مع أشراف شعبه....(أعداد ٧ – ٩) قارن (لوقا ١ : ٤٦ – ٥٥ ، ٦٧– ٧٩). إنه الإله القديم المُشرق من العلاء . وبأحشاء رحمته يفتقد البائس والمسكين ، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت . لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام (لوقا ١ : ٧٨ – ٧٩) .

هؤلاء الجالسون في الظلمة وظلال الموت ، المترنمون بمزامير المراثي . صار لهم الله قريباً جداً – متحداً مع كل متألم بذلك الألم الذي جاء التعبير عنه واضحاً في (مزمور ٢٢) . والذي رأت الكنيسة الأولى فيه علاقة وطيدة مع ما جاء في (مرقس ١٥ : ٢٤ ، يوحنا ١٩ : ١٤) .

لقد فهمت الكنيسة الأولى أن مزمور (٢٢) هو بمثابة مزمور مرثاة – تعبيراً عن آلام السيد له المجد، حيث نزل المسيح يسوع إلى أعماق العزلة البشرية، إذ جعل آلامنا آلامه بكل المعنى والأبعاد . وإلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي ... إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب في الليل أدعو فلا هدو لي » إنها أسئلة الحيارى والمتألمين: لماذا ؟ وإلى متى ؟ فيأتيهم جواب الله المحب، الصديق الألزق من الأخ، باعثاً كل سلام وطمان في قلوبهم . وكيف ؟! إنه «هو الإله الذي لا يحتقر ولا يرذل مسكنة المسكين . ولا يحجب وجهه عنه . بل عند صراخه يستمع إليه» (٢٢ : ٢٤) .

الأمر الذي لإجله يتهلل المرنم قائلاً « أخبر بأسمك أخوتي . وفي وسط الجماعة أسبحك » (٢٢ : ٢٢) التسبحة الشبيهة بتلك الواردة في (مزمور ١٦) « لانك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً » (١٦ : ١٠) .

وتكتمل الصورة الرائعة في كلمات الرب المقام من الأموات .. « إذهبا قُولا لأخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني » (مت ٢٨ : ١٠ ، قارن يوحنا ٢٠ : ١٧) . ويقف رسل المسيح يسوع شهوداً لأعمال الله الخلاصية ، والفداء الذي تم في الفادي الحبيب .

إنها دعوة للإيمان في الرب المقام . ولكل شعوب وممالك الأرض ، للتسبيح والتهليل . حتى إلى أقاصي الأرض .

« ليكن أسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد. من مشرق الشمس إلى مغربها أسم الرب مُسَبَّح » (١١٣: ٢ - ٣) .

فريق اللاهوت الدفاعي